

دور الدبلوماسية الجزائرية في تسوية النزاعات الدولية و الإقليمية

- حالة الصحراء الغربية : أنموذجا -

د. رقبولي كريم

كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة سطيف - 02

ملخص :

تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعريف بدور الدبلوماسية الجزائرية منذ استرجاع سيادتها عام 1962 ومساهمتها الفعالة في بناء السلم والأمن الدوليين وهذا في حالات كثيرة منها والتي من أهمها الوساطة الجزائرية في النزاع العراقي - الإيراني عام 1975 وكذا الوساطة الجزائرية في قضية الرهائن الأمريكيين في إيران سنة 1980 وكذا في تسوية نزاع الأقليات في شمال مالي والنيجر ونجاحها في حل النزاع الإثيوبي - الإريتري عام 2000 ودورها الفعال في تصفية الاستعمار في الصحراء الغربية وفقا للشرعية الدولية .

الكلمات المفتاحية : الدبلوماسية، الدبلوماسية الجزائرية، حل النزاع، تصفية الاستعمار في الصحراء الغربية .

Résumé :

Le présent article vise à clarifier et définir le rôle de la diplomatie algérienne depuis son indépendance en 1962 et sa contribution en matière de paix et sécurité internationale, ainsi sa contribution en matière de résoudre les conflits internationaux (le conflit Irako-Iranien en 1975, les otages américains en Iran en 1980

et son rôle efficace en matière de décolonisation au Sahara occidentale conformément à la légitimité internationale.

Mots clés : Diplomatie, Diplomatie Algérienne, résoudre les conflits, décolonisation au Sahara Occidentale.

مقدمة :

تعتبر الدبلوماسية إحدى أدوات الدول مهمة في تنفيذ السياسة الخارجية، وتزداد أهميتها على الخصوص - في أوقات السلم. ويقع على أولوياتها، السعي إلى التوفيق بين الدول فيما ينشأ بينها من خلافات، أو التخفيف من حدتها على الأقل، وذلك بربط جسور التواصل، من أجل تحقيق الغاية الإنسانية التي توصف بها الدبلوماسية نفسها.

فبواسطة الدبلوماسية، يتم حل العديد من المشاكل والقضايا التي تعاني منها مختلف الوحدات السياسية، وعن طريقها - أيضا- يمكن للدول توطيد مركزها وتعزيز نفوذها من أجل إيجاد مكانة لها على

المستوى الدولي، بشكل يتناسب مع مؤشرات القوة والقدرة والمقدرة التي تمتلكها في إطار علاقاتها مع الدول الأخرى.

وبالقدر الذي لعبته الدبلوماسية من أدوار في ميدان العلاقات الدولية، وعلى مختلف العصور التي قطعها البشرية، كان اهتمام مختلف الدول بهذا النشاط الجوهري يزداد قوة واتساعا، ولتؤكد هذه الأهمية الكبرى وفعاليتها بصفة عامة في تصفية النزاعات المسلحة بين الدول، فقد تجسدت في دورها في تجنب الإنسانية ويلات الحروب والدمار والخراب، وأثمرت مساعيها تلك بالحيولة دون استمرار النزاعات والحروب، حقنا للدماء، وتجنبنا للخسائر، و دفنا للأحقاد بين الدول. وقد كانت هذه الوظيفة الدبلوماسية تعتمد على مجموعة من الوسائل والمسااعي المختلفة التي يحتكم إليها المتصارعون في النهاية، مهما طال أمد هذا الخلاف.

وبالنظر الجزائر إلى ما تتمتع به من مكانة متميزة على المستوى الدولي والإقليمي، وكذا مواقفها الثابتة والمسؤولة حيال مختلف القضايا التي شغلت العالم بأسره، والتي تجسدت في مساندتها المبدئية لجميع الحركات التحررية في العالم، وهذا انطلاقا من المبادئ الثورية التي تؤمن بحق الشعوب في تقرير مصيرها وتصفية الاستعمار في جميع أنحاء العالم، وقد جعلت من السلم والأمن منطلقا ومطمحا لدبلوماسيتها، وهو ما أهلها لكي تحوز احتراما واسعا بين قادة دول العالم، ورؤساء منظماتها المتعددة.

ولقد عملت الدبلوماسية الجزائرية منذ استرداد البلاد استقلالها(1962)، على المساهمة في بناء السلم والأمن الدوليين، وهذا في حالات كثيرة، والتي من أهمها-على سبيل المثال لا الحصر- تُذكر الوساطة الجزائرية في النزاع بين دولتي العراق وإيران سنة 1975. وكذا التوسط الجزائري فيما يخص قضية الرهائن الأمريكيين في إيران (1980)، وكذا في مسار مساعيها في تسوية نزاع الأقليات في شمال مالي والنيجر (التوارق)، وحل النزاع بين إثيوبيا وأرتيريا (2000).

إشكالية الدراسة :

لقد كان اهتمام الجزائر بالنشاط الدبلوماسي اهتماما بالغاً منذ حصولها على الاستقلال، ومن أجل الإلمام بدور الدبلوماسية الجزائرية في تسويتها لمختلف النزاعات، ودورها الثابت في تصفية الاستعمار في الصحراء الغربية، توجب طرح الإشكالية التالية:

إلى أي مدى يمكن القول بأن الدبلوماسية الجزائرية نجحت في تسوية النزاعات المسلحة، وفي تصفية الاستعمار في الصحراء الغربية وفقا للشرعية الدولية؟

ومن أجل الإجابة على الإشكالية المطروحة تم التطرق إلى طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية :

- 1- ما معنى الدبلوماسية ؟ وما هي علاقتها ببعض المصطلحات الأخرى ؟.
 - 2- ما هي مختلف الإنجازات التي قامت بها الدبلوماسية الجزائرية في تسوية النزاعات الدولية ؟
 - 3- ما هو الدور الذي قامت به الجزائر في تصفية الاستعمار في الصحراء الغربية، ومدى إقناعها للمجموعة الدولية في تصفية الاستعمار وفقا للشرعية الدولية ؟
- ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية والأسئلة الفرعية تم التطرق إلى معالجة الموضوع عبر المحاور التالية وهي:

المحور الأول : ماهية الدبلوماسية والفرق بينها وبين مختلف المصطلحات المشابهة لها.

المحور الثاني : التعريف بالدبلوماسية الجزائرية وأهم إنجازاتها.

المحور الثالث : دور الدبلوماسية الجزائرية في تصفية الاستعمار في الصحراء الغربية.

المحور الأول : ماهية الدبلوماسية وعلاقتها ببعض المصطلحات المشابهة لها .

1- في معنى الدبلوماسية :

على الرغم من المجهودات المبذولة من طرف العديد من الدارسين والباحثين لإعطاء تعريف موحد للدبلوماسية، إلا أنه مازال لحد الآن غير واضح بالنسبة لبعض الأحداث التي تقع في عالم اليوم، لدرجة أن كل واحد يوظفها لخدمة مصالحه الخاصة. لكن نتيجة لترباط الأحداث الدولية أجبر الجميع على التوجه بالبحث عن آليات مشتركة للبحث عن مفهوم موحد لها- كوظيفة على الأقل.

ويمكن الرجوع إلى مجموعة من التعاريف التي جاء بها مختلف الباحثين في حقل الوظيفة الدبلوماسية وقوانينها والتي يمكن ذكر بعض منها وهي:

أولا- من الناحية اللغوية :

تشير أدبيات الدبلوماسية في المعاجم اللغوية، على أنها لفظة مشتقة من اليونانية "دبلوما" ومعناها الوثيقة أو الشهادة الرسمية التي تطوي على نفسها، والتي كانت تصدر عن الشخص الذي بيده السلطة العليا في البلاد، وتخول حاملها امتيازات خاصة، وتتضمن صفة المبعوث والمهمة الموفد بها.⁽¹⁾

ثم اتسع مدلول هذه الكلمة فيما بعد ليشمل الأوراق الرسمية التي تتضمن نصوص الاتفاقيات التي أبرمتها الإمبراطوريات القديمة مع المجتمعات والقبائل الأجنبية التي أصبحت تعني دراسة الوثائق القديمة المتعلقة بالعلاقات الدولية، ثم بعد ذلك وظيفتها إلى مستوى أنها أصبحت تعني إدارة وتوجيه العلاقات الدولية.⁽²⁾ كما نجد أنها بحسب هذا المفهوم تعني مبعوثا أو مفوضا، أي الشخص الذي

يُرسل في مهمة، ولم تدخل لفظة الدبلوماسية في المعجم الدولي إلا في أوساط القرن السابع عشر، عندما حلت محل لفظة "مفاوضة".

وقد تطور مدلول الدبلوماسية والذي أصبح يشير إلى معان مختلفة، فهو يستعمل اليوم: ⁽³⁾

- 1- إما للدلالة على النهج السياسي في زمن معين.
- 2- وإما للدلالة على اللياقة والكياسة والدهاء، والتي يتحلى بها شخص ما بالنسبة لعلاقاته مع الغير.
- 3- وإما للدلالة على المفاوضات وما يتبعها من مراسيم .
- 4- وتستعمل للدلالة على مهنة الممثل الدبلوماسي الذي يقوم على حد تعبير "أرنست ساتو" بمهمة التوفيق بين مصالح بلاده ومصالح البلاد المعتمد لديها، و الذود عن شرف وطنه، والسهر على تنمية الوعي الدولي .

ثانيا- من الناحية الاصطلاحية :

لقد تطور تعريف الدبلوماسية بتطوير الدبلوماسية ذاتها، وسوف تحاول هذه الدراسة رصد بعض التعريفات التالية :

- 1- عند الحضارة الهندية : تعني الدبلوماسية عند الهنود على أساس " أنها القدرة على إثارة الحرب وتأكيده السلام بين الدول " ⁽⁴⁾
- 2- عند المسلمين: فقد ذكر معاوية بن أبي سفيان فيما يدل على ممارستها على أنها: "لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، إذا أرخوها شددتها، وإن شدوها أرخيتها " وهو (تعريف إجرائي).
- أما إرنست ساتو فلقد عرف الدبلوماسية بأنها "هي استعمال الذكاء والكياسة في إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة " ⁽⁵⁾
- وعرفها pani teker بأنها : " العمل الرسمي لتوجيه العلاقات بين الدول " .
- أما الأستاذ الفرنسي ريفيه فقد أعطى تعريف للدبلوماسية على أساس أنها : " هي علم وفن تمثيل الدول والمفاوضة " ⁽⁶⁾ .

في حين عرفها "هنري كيسنجر" بأنها : تكييف الاختلافات من خلال المفاوضات " ⁽⁷⁾ .

ويأتي تعريف "هنري كيسنجر" تأكيدا لما يعرف عن الدبلوماسية، وهي تلك الظاهرة التي برزت مع بروز ظاهرة الصراع البشري حول عملية توزيع القيم، فالتفاوض والتهاون من الظواهر القديمة قدم التاريخ .

ويربط "روبرت كانتر" مفهوم الدبلوماسية بمفهوم السياسة الخارجية، فهو يعرف الدبلوماسية بأنها: "فن وممارسة إدارة المفاوضات مع الدول الأخرى في عملية تنفيذ السياسة الخارجية"⁽⁸⁾.

وهذا التعريف يندرج ضمن التعريفات التي تربط بين الدبلوماسية والسياسة الخارجية، على اعتبار أن العلاقة الوثيقة بينهما.

في حين عرف مجموعة من الباحثين العرب الدبلوماسية على أساس أنها :

ف"حامد سلطان" يعرفها بأنها : "فن وعلم معالجة الشؤون الخارجية للدولة وأن العلاقات الدبلوماسية هي الصورة الحية للاتصالات الدولية".

أما "إسماعيل صبري مقلد" فيعرفها "بأنها عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول والتي تتناول علاقاتها ومعاملاتها ومصالحها، والدبلوماسية الفعالة هي التي تدعمها كل أدوات السياسة الأخرى التي تملكها الدولة سواء كانت هذه الأدوات سياسية، دعائية، اقتصادية أو عسكرية"⁽¹⁰⁾.

أما حسن صعب عرف الدبلوماسية بأنها "علم وفن وقانون وتاريخ ومؤسسة ومهنة"⁽¹¹⁾.

علاقة الدبلوماسية بمفهوم النزاع :

ترتبط الدبلوماسية بالعديد من المفاهيم الأخرى كالنزاع، والذي يوضح ضبط مفهوم الدبلوماسية، وهذا بسبب الارتباط الوثيق بينهما، حيث يقصد بالنزاع الدولي أنه : "الوضع الناشئ نتيجة تعارض أو تصادم بين اتجاهات مختلفة، أو عدم توافق في المصالح بين طرفين أو أكثر، مما يدفع الأطراف المعنية مباشرة إلى عدم القبول بالوضع القائم ومحاولة تغييره، عن طريق الوسائل الدبلوماسية من أجل معالجة هذا الخلاف".

فالدبلوماسية إذن تعتبر إحدى الآليات المستخدمة من طرف مختلف الوحدات السياسية الحكومية وغير الحكومية من أجل فض النزاعات. ومعلوم أن مصطلح فض النزاع هنا هو أكثر شمولية من مصطلح إدارة النزاع أو تسويته، ذلك أنه يتضمن التعامل مع الأسباب الجذرية للنزاع وحلها، بمعنى إنهاء الحالة العدائية بين أطراف النزاع وتغيير بنيته⁽¹²⁾.

المحور الثاني : التعريف بالدبلوماسية الجزائرية وأهم إنجازاتها:

1- مرحلة الثورة التحريرية (1954 - 1962).

لقد حققت الدبلوماسية الجزائرية أثناء ثورة التحرير على الرغم من المحاولات العديدة التي بذلها الإستعمار الفرنسي لأجل إخمادها منذ البداية، ومحاولة عزلها إقليميا ودوليا، إنجازات مهمة سواء على مستوى مداولات الجمعية العامة للأمم المتحدة، أو في مختلف المؤتمرات الدولية، على غرار

مؤتمر باندونغ (1955)، والذي أبدت من خلاله الدول الأفرو- آسيوية تضامنا مع الشعب الجزائري، وإتاحة الفرصة لجهة التحرير الوطني لتمثيل القضية الجزائرية على الصعيد الدولي⁽¹³⁾.

وإلى جانب ذلك شاركت الحكومة الجزائرية المؤقتة في مؤتمر أكرّا الثاني المنعقد في العاصمة الغينية (في ديسمبر 1958) والذي تضمنت لائحته الختامية المطالبة بمنح الشعب الجزائري حقه في الاستقلال، وإنه الممثل الوحيد والشرعي لإرادة الشعب الجزائري⁽¹⁴⁾، كما تمكنت الحكومة الجزائرية المؤقتة من المشاركة في مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة (منروفا) 1959، والذي صادق من خلاله المؤتمرين على التحضير للمناقشات التي سوف تجرى في الجمعية العامة للأمم المتحدة. وقد تم إعلان يوم الأول من نوفمبر "يوما للجزائر" ودعوة الدول الأفريقية إلى الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة⁽¹⁵⁾، ومن المشاركة في العديد من المؤتمرات الإقليمية والدولية، على غرار مؤتمر أديس أبابا (1960)، ومؤتمر بلغراد (1961)، وغيرها من المناسبات التي حضرها الوفد الممثل للحكومة للجزائرية المؤقتة، والتي دعت من خلالها إلى التنديد بما قام به المستدمر الفرنسي، والمطالبة بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.

وبالموازاة مع هذا النشاط السياسي قامت الحكومة الجزائرية المؤقتة - آنذاك- بفتح مكاتب تمثيلية لها في العديد من الدول -وبالخصوص الإفريقية منها- على غرار مكتب غانا، غينيا، ومالي...⁽¹⁶⁾، وهو ما أدى إلى زيادة نيل الثورة الجزائرية إعجابا شديدا من طرف العديد من دول العالم، التي كانت تحت وطأة الاستعمار، والتي أعطت دفعا قويا لحركات التحرر فيها، حيث كان كفاح الشعب الجزائري محل اهتمام شعوب إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، فهذا الرئيس الغاني كوام نكروما (1958) يقول " إن الاستعمار ما يزال متشبثا بسيطرته المباشرة في بعض المناطق بإفريقيا وأن أكبر مثال لهذا التشبث الاستعماري الأعى يتمثل في القضية الجزائرية، حيث يكافح الشعب الجزائري كفاحا بطوليا جبارا ضد أقوى جيش استعماري عرفه التاريخ ...، ولقد لعب كفاح الشعب الجزائري دورا هاما في تحرير القارة الإفريقية بأجمعها...".

كما صرح المناضل شي غيفارا (1958) لمندوب جريدة المجاهد قائلا: " إن كفاح الشعب الجزائري فريد من نوعه في تاريخ الاستعمار، ولم يحدث وأن قدم نموذج مماثل في الشجاعة، كالذي قام به الشعب الجزائري، واليوم فالمعركة التي تخوضها هي معركة الحرية ليست من أجل الشعب الجزائري وحده، وإنما من أجل كل الدول التي تعاني الاضطهاد والتعسف أينما كانت وفي جميع القارات، وإن من واجبنا أن نويد قضية الشعب الجزائري بكل الوسائل ذلك أنها تجسد قضية الإنسانية بأكملها"⁽¹⁷⁾.

وعليه، يمكن القول: إن دبلوماسية الثورة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي وبالخصوص فترة الثورة المسلحة (1954-1962) قد ساهمت في صياغة جوهرها وطبعه ببعض الصفات والخصائص الثابتة، والتي لا يمكن لأي أحد المساس بها، وتأتي على رأس تلك الصفات الدعم اللامشروط لحركات التحرر وقضايا تقرير المصير الشعوب.

2- دور الدبلوماسية الجزائرية ومكانتها منذ الإستقلال (1962) :

لقد إتسمت الدبلوماسية الجزائرية على المستوى الإقليمي والدولي بأنها حديثة العهد- نسبيا-، إلا أنها وبعد مرور فترة وجيزة على الاستقلال، أصبحت تعد من الفاعلين الأساسيين في الشؤون الدولية، وذلك من خلال دورها في معالجة مختلف القضايا لاسيما الأفريقية منها مثل تصفية الاستعمار، ودعم حركات التحرر ماديًا ومعنويًا ضد الاستعمار (البرتغالي والبريطاني والفرنسي والأسباني)، ورفض نظام الحكم العنصري في جنوب إفريقيا.

ومن إرهابات هذه الدبلوماسية التي تمثلت في السعي باستمرار إلى الحفاظ على مقومات الإستقلال وتثبيت دعائمه، ليكون نهجا يحذى به الآخرون في تنفيذ سياساتهم الخارجية، حيث إنبعد مرور فترة جد وجيزة على قيام منظمة الوحدة الإفريقية نشب خلاف حدودي بين كل من الجزائر وبعض جيرانها مثل المغرب وتونس وليبيا، فبالنسبة للحدود الجزائرية المغربية فقد أدى التوتر في العلاقات بينهما إلى انفجار مواجهة مسلحة في الفاتح من أكتوبر 1963 أو ما يسمى بحرب الرمال، وكنتيجة لهذه الوضعية كانت الدبلوماسية الجزائرية تتحرك في الكثير من الاتجاهات وعلى العديد من المستويات والأصعدة القارية منها والعربية، إضافة إلى مجموعة من دول عدم الانحياز...، فعلى الصعيد القاري وجدت الجزائر نفسها في وضعية جيدة وقانونية استنادا لميثاق منظمة الوحدة الإفريقية، والذي يشير في مادته الثالثة إلى تبني مبدأ قدسية الحدود الموروثة عن الاستعمار، والتي لعبت الجزائر من خلالها دورا كبيرا في تثبيته⁽¹⁸⁾.

وبالموازاة مع الإشتباكات العسكرية على الحدود بين الدولتين لم تتوقف الآلة الدبلوماسية الجزائرية لاحتواء الوضع حيث التقى وزير الخارجية الجزائري بنظيره المغربي بغرض تسوية هذا النزاع بصفة نهائية، والتي توجت بوضع اتفاقية بينهما، ولكنها وُثِدَتْ في مهدها، وأمام تطور هذا النزاع طلبت الجزائر من منظمة الوحدة الإفريقية عقد دورة استثنائية لمجلس وزرائها وذلك وفقا للمادة الثانية عشر - عند نشوء أي أزمة مفاجئة بطلب من أحد الأعضاء، استطاعت المنظمة من خلال وساطة إمبراطور إثيوبيا هيلاسي لاسي أن تتوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار، وفي 15 جانفي 1969، انتهى النزاع بتوقيع إتفاقية إيفران بين الطرف الجزائري والمغربي، وفي القمة الإفريقية الثامنة في الرباط عام 1972 أعلن الطرف المغربي عن توصل الدولتين إلى تسوية النزاع الحدودي بينهما⁽¹⁹⁾.

ولقد أعطى هذا النزاع للجزائر درسا مفاده أن الدخول في مفاوضات مع دول الجوار لتثبيت الحدود هو الأجدى قبل أن يتحول إلى حدوث مختلف المشاكل بينهما، وهو ما دفع بها إلى الشروع في تثبيت حدودها مع موريتانيا، والتي توجت بعقد اتفاقية التعاون وحسن الجوار سنة 1966⁽²⁰⁾، ثم بعد ذلك أبرمت معاهدة أخرى مع ليبيا سنة 1969، والثالثة منها مع جمهورية تونس التي وقعت معها معاهدة الأخوة وحسن الجوار والتعاون في 06 جانفي 1970، والتي تنص "على أن تتخلى تونس عن مطالبتها الترابية في المناطق الحدودية المتنازع عليها، واحترام الطرفين لمبادئ السيادة الوطنية والوحدة الترابية وبالتالي قداسة الحدود الموروثة عن الاستعمار مقابل تعاون اقتصادي مكثف بين البلدين، من خلال تشكيل لجنة حكومية مختلطة لتجسيد هذا التعاون، وبفضل هذه المجهودات الجبارة التي قامت بها الجزائر آنذاك استطاعت القضاء على أكبر مشكل وهو مشكل الحدود، الذي يعتبر كمصدر لتهديد الأمن الوطني والحيولة دون استكمال مسيرة البناء الوطني.

فالجزائر لم تكن منشغلة لحدودها فقط، وإنما كان انشغالها منصبا - بالخصوص - على ما تثيره مسألة الحدود في كل الأقطار العربية والأفريقية من نزعات فيما بينها، والسعي لإيجاد حلول لها.

وباعتبار أن الجزائر عضو من أعضاء المجتمع الدولي، قد ناضلت من أجل الحل السلمي للنزاعات في مختلف مناطق العالم، حيث كان لها دورا مهما في حل عدة نزاعات مسلحة، إما عن طريق مساعيها الدبلوماسية، وإما عن طريق وساطتها المباشرة وغير المباشرة .

ويمكن القول: إن الدبلوماسية الجزائرية كانت حاضرة في تسوية كثيرا من النزاعات المسلحة والتي سعت إلى حلها حلا سلميا، وهو ما يفرض التطرق إلى انجازاتها في حل هذه النزاعات سواء كان على المستوى الداخلي للدول (النزعات الداخلية والحروب الأهلية)، أو على المستوى الدولي عبر ما يحدث من نزعات إقليمية.

فمن بين أهم الإنجازات التي حققتها الدبلوماسية الجزائرية سواء من خلال علاقاتها الثنائية، أو من خلال الإطار الجماعي، ضمن لجنة الوساطة والتحكيم التابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية، والتي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- الوساطة الجزائرية لتسوية النزاع المالي البوركينابي : لقد تدخلت الجزائر من أجل تسوية الحدود بين هذين البلدين، والتي عملت على إحالة هذا النزاع إلى محكمة العدل الدولية وتسويته بالطرق السلمية، ونجحت في الحيولة دون نشوب الحرب بين البلدين.

2- الوساطة الجزائرية بين السينغال وموريتانيا : لقد بذلت الجزائر جهدا كبيرا من أجل إخماد هذا النزاع الحدودي، إلى جانب مساعي كل من المغرب وفرنسا أين تم التوصل إلى وضع حد مناسب له.

3- الوساطة الجزائرية في تشاد : لقد عملت الجزائر بقوة على تحقيق الصلح بين الأطراف المتنازعة على السلطة، وإبعاد القوات الأجنبية عن البلاد، وعملت على الجمع بين ممثلين عن الحكومة والمعارضة، وتمكنت من تطويق النزاع، وإعلان الانسحاب التدريجي للقوات الأجنبية من البلاد تمهيدا لبداية المصالحة، وهذا ما عبرت عنه الجزائر في بيان لوزارة خارجيتها بأنها مرتاحة بما ورد فيه باعتباره يشكل بداية رد على أحد المتطلبات الثابتة لإفريقيا، والجزائر تتابع ببالغ الاهتمام كافة التطورات في هذه الأرض الأفريقية⁽²¹⁾.

4- الوساطة الجزائرية لحل الخلاف التونسي الليبي: لقد تدخلت الجزائر أيضا في تلطيف جو الخلاف الذي وقع بين كل من تونس وليبيا وهذا ما بعد فشلت هذه في تحقيق الوحدة بينهما⁽²²⁾.

5- وساطة جزائرية في الخلاف بين العراق وإيران 1975: لقد عملت الجزائر كل ما في وسعها من أجل إقناع شاه إيران للتنقل إلى الجزائر ويعتبر هذا التنقل انتصارا للدبلوماسية الجزائرية، وقد وقعت اتفاقية السلام بينهما، وأطلقت عليها " إتفاق الجزائر " وطويت مرحلة الخلاف بين العراق وإيران .

6- وساطة جزائرية لوقف الحرب الليبية المصرية عام 1977: على الرغم من المجهودات المبذولة من طرف بعض الأطراف الدولية من أجل استمرار الحرب بين طرفي النزاع، إلا أنها لم تستطع تحقيق ذلك، وهذا بفضل المساعي الدبلوماسية الجزائرية التي كانت تركز- في ذلك الوقت- على القضية الفلسطينية وعدم إضعافها، مما أدى بمصر بوقف تقدم قواتها باتجاه التراب الليبي.

7- وساطة جزائرية في أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران 1979-1980: بعد فشل كل المفاوضات المباشرة التي تمت بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية من أجل تسريح الرهائن، وبطلب الرئيس الأمريكي جيمي كارتر من الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد في 15 نوفمبر 1979 وكذا الإيراني، قبلت الجزائر بالوساطة لحل هذا المشكل، وذلك عن طريق دبلوماسية نشطة^(*).

ولقد لفتت هذه الوساطة انتباه العالم للدور الذي لعبته الجزائر بالنظر إلى تعقد القضية، ورغم الصعوبات التي واجهتها في البداية إلا أنها استطاعت أن تنهي الأمر بشكل أثار إعجاب الكثيرين، ومنهم المحامي الأمريكي السابق "وران كريستوفر" الذي رأى أن الدور الجزائري كان مميزا، حيث نجحت وساطتها بفعل الاقتراحات التي قدمتها لتجاوز موقف الطرفين المتزمت أحيانا، والرافض أحيانا أخرى.

8- وساطة جزائرية للتقريب بين الفصائل الفلسطينية: عملت الجزائر بكل ما في وسعها من أجل توحيد الرؤى والمواقف و السعي إلى تقاربها بين مختلف الفصائل الفلسطينية، والتي كللت بعقد لقاء دولي شاركت فيه مختلف القوى الدولية من جميع أرجاء العالم .

9- الوساطة الجزائرية في النزاع الأثيوبي الأريتيري : بالنظر إلى المكانة الجيو إستراتيجية التي تتمتع بها دولة الجزائر، والسمعة الطيبة التي تحظى بها على المستوى العالمي والإقليمي استطاعت أن تحل هذا النزاع سنة 2000 بقيادة مباشرة من رئيس دولة الجزائر.

وعليه، فإن الدبلوماسية الجزائرية حققت انجازات - مهمة سواء - عندما كانت تحت وطأة الاستعمار الفرنسي أو بعد حصولها على الاستقلال، إذ قامت بعدة وساطات التي رضت من خلالها كل الأطراف المتنازعة .

المحور الثالث : دور الدبلوماسية الجزائرية في تصفية الاستعمار في الصحراء الغربية :

مما لا شك فيه أنه من المبادئ السياسية الأساسية للخارجية الجزائرية منذ الثورة المسلحة هو حق تقرير مصير جميع الشعوب المستعمرة ودعم حركات التحرر، وتعد قضية الصحراء الغربية من أهم القضايا التي تدافع عنها الجزائر، سواء على المستوى الإقليمي (منظمة الاتحاد الإفريقي) أو على المستوى الدولي (منظمة الأمم المتحدة)⁽²⁴⁾.

وتستند وجهة النظر الجزائرية إلى القرارات التي أصدرتها لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة، والمتمثلة في ضمان الجمعية العامة حقوق الشعب الصحراوي، وإن السلطة الحاكمة مسؤولة عن توجيه شعب الصحراء إلى المطالبة بالاستقلال، وممارسة حقه في تقرير مصيره، من خلال الاستفتاء الذي تنظمه منظمة الأمم المتحدة خلال النصف الثاني من 1975، وفي الوقت الذي كان فيه المغرب وموريتانيا يطالبان بالصحراء الغربية وتقسيمها فيما بينهما، اعترضت الجزائر عن أي إجراء استفتائي خارج هيئة الأمم.

وفيما يخص الاتفاق الثلاثي الذي تم توقيعه بين موريتانيا والمغرب واسبانيا في نوفمبر 1975، رأت الجزائر أن هذا الأجراء يعد إنكارا للإلتزامات الرسمية من قبل اسبانيا تجاه شعب الصحراء، كما يعد خرقا للاتفاقيات التي وقعت عليها كل من المغرب وموريتانيا، والخاصة بموافقتهم على قرارات الأمم المتحدة، حيث رأت الجزائر أنهما تجاهلتا وجود شعب الصحراء⁽²⁵⁾.

كما اعتبرت الجزائر ذلك التحالف الثلاثي، أنه تحالف يهدد الاستقرار والأمن في المنطقة وهذا ما عبر عنه الجزائر: لا سلم ولا استقرار يمكن أن يكون في المغرب العربي، مادام لم يعترف بحق الشعب الصحراوي، وأن كل ما يقوم به المغرب هو تهديد للثورة الجزائرية ..⁽²⁶⁾، كما يعد أيضا - التحالف - انتهاكا لقرارات مجلس الأمن، وهذا انطلاقا من المعطيات الأساسية التالية:

1- إن مسار تصفية الاستعمار في الصحراء الغربية، كما حددته الجمعية العامة منذ عام 1965 أكدته محكمة العدل الدولية، وتقارير الأمم عن الصحراء الغربية ومختلف المؤسسات الدولية وأثبتت صحته.

2- بما أن الصحراء الغربية غير مستقلة، فإن إسبانيا هي الدولة المسؤولة أمام المنظمة عنه، ولا يحق لها أن تحيل مسؤوليتها إلى غير شعب الصحراء صاحب السيادة، إن الأمم المتحدة هي التي تتولى الحفاظ على هذه السيادة.

3- لا تقر الحكومة الجزائرية شرعية اتفاق مدريد، وتعتبرها باطلة لأن حكومة كل من إسبانيا والمغرب وموريتانيا لا يحق لها التصرف إطلاقا في التراب الصحراوي.

ولقد أعلنت الجزائر موقفها من هذه المشكلة⁽²⁷⁾: أن الهدف الوحيد من تحرك الجزائر في المشكلة ينطلق من سياستها في مساندة حركات التحرر، وأن النضال في الصحراء الغربية هو نضال بين التقدمية والإقطاع، وأن أي مفاوضات يجب أن تكون بين جبهة البوليساريو (الممثلة للشعب الصحراوي) وكل من المغرب وموريتانيا، وأن أي وساطة في قضية الصحراء لا يكون لها معنى، ما لم يكن هدفها التوصل إلى إنقاذ الشعب الصحراوي وصيانة وجوده.

كما أن الجزائر رفضت أن تكون طرفا مباشرا في قضية الصحراء الغربية، عكس ما كانت تدعي به المغرب وتروج له، لأنه إذا ما قبلت الجزائر بالحوار السياسي المباشر مع المغرب فيعني أن نزاع الصحراء الغربية هو نزاع جزائري مغربي، كما أن الشروع في مثل هذا الحوار الثنائي المباشر يعني سحب القضية الصحراوية من الأمم المتحدة، وبالتالي تحييد كل القرارات الأممية بهذا الشأن وإسقاط حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره، وذلك بإخراج النزاع من دائرة تصفية الاستعمار، وبالتالي إسقاط كل الحجج الجزائرية بخصوص التمسك بالشرعية الدولية، إلا أن الجزائر رفضت الحوار مع المغرب على أساس أن النزاع هو قضية تصفية استعمار، وهو من صلاحية الأمم المتحدة، وأكدت الجزائر على لسان رئيسها في تدخلها أمام الدورة السنوية للجمعية العامة بمقر الأمم المتحدة⁽²⁸⁾، أن الجزائر ليست بحاجة إلى وسطاء للتفاوض مع المغرب.

أما على مستوى تحركاتها السياسية والدبلوماسية، فإنها نجحت في استقطاب العديد من الدول سواء على المستوى المغربي أو الأفريقي أو الدولي، وهو ما يتجلى ذلك للعيان من خلال اللقاء الجزائري الليبي، والتي كانت له نتائجه إيجابية على المسألة الصحراوية، وذلك في لقاء حاسي مسعود يوم 28-29 ديسمبر 1975.

وفي نفس السياق دائما صاحب التحرك الدبلوماسي الجزائري نحو موريتانيا، وذلك عندما عدلت هذه الأخيرة عن استعمارها للصحراء الغربية، والتي تمت بموجبها اتفاقية السلام بين موريتانيا وجبهة البوليساريو في 19 أوت 1979.

أما على المستوى الإفريقي فقد استطاعت أن تتقارب مع دول جنوب مالي والنيجر ومنظمة الوحدة الأفريقية، حيث قامت بحملة للاعتراف بالقضية الصحراوية، ثم فيما بعد بالجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية التي أعلن عنها في 1976/02/27⁽²⁹⁾، كما تم إبلاغ أعضاء هذه المنظمة بخطورة الوضع في منطقة المغرب العربي، وأثر على استقرار القارة، وذلك من خلال رسائل وجهت إلى رؤساء الدول الأفريقية في 13 نوفمبر 1977، لإطلاعهم على أبعاد القضية.

أيضا وعن طريق النشاطات الدبلوماسية المتواصلة للجزائر، وتحركها في مختلف الأصعدة، حيث تمكنت من تحييد تونس بأن جعلتها معتدلة اتجاه الصراع في الصحراء الغربية.

وعلى العموم، فإن عوامل نجاح الدبلوماسية الجزائرية في تدعيم قضية الصحراء على المستوى الإفريقي والدولي مرده إلى عدة عوامل أهمها: غياب سياسة مغربية واضحة إفريقيا، والأخطاء الدبلوماسية المغربية والتي يمكن تحديدها في ما يلي⁽³⁰⁾:

- المواقف المغربية المتناقضة، فمن جهة تطرح قضية الصحراء كملف مغلق بعد اتفاقية مدريد، ومن جهة ثانية تحتج على الوضعية في الصحراء، كما أنها تظهر أنها منغلقة تجاه الجزائر ثم تطرح فكرة الاستغلال المشترك لثروات الصحراء.
- المواقف المتغيرة وغير الثابتة ففي القمة 13 لمنظمة الوحدة الإفريقية، رفضت المغرب عقد قمة طارئة حول الصحراء الغربية، وفي القمة 14 قبلت المشاركة في القمة. كذلك رفضت المشاركة في أشغال اللجنة المؤقتة الخاصة بدراسة ملف الصحراء التي شكلتها القمة بالخرطوم، وبعدها في القمة بسيراويون قررت المشاركة وهكذا.
- المواقف السياسية المغربية التي تعبر عن التحالف السياسي مع المصالح الغربية أثرت سلبا على الدبلوماسية المغربية تجاه الدول الإفريقية ذات التوجه "التقدمي"، خصوصا في تدخلاتها العسكرية في الزاير مرتين "أبريل 1977" و "ماي 1978"، من أجل الحفاظ على المصالح الغربية.

- داخل منظمة الأمم المتحدة:

لقد كان نشاط الجزائر مهما داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث استطاعت أن تدفع بالقرارات المطروحة داخل الأمم المتحدة لكي تتبناها الجمعية العامة وبالأغلبية، وحققت أهدافها المتمثلة في الاعتراف بالبوليساريو كممثل شرعي للشعب الصحراوي، مطالبة المغرب بالدخول في مفاوضات مباشرة مع البوليساريو للوصول إلى حل نهائي وعادل لقضية الصحراء الغربية. وضرورة إجراء استفتاء عام لتقرير مصير الشعب الصحراوي⁽³¹⁾.

خاتمة :

لقد تم التوصل إلى نتيجة مفادها أن الدبلوماسية الجزائرية لعبت دورا رئيسا ومهما في مجال العلاقات الدولية، وذلك على الرغم من حدوثها، ومن الإهتزازات التي تعرضت لها أثناء الأزمة الداخلية التي عرفت في تسعينات القرن الماضي.

كما تبين أن توسطها في العديد من النزاعات الإفريقية العربية الأمريكية والأسبوية قد تكلل جليا بالنجاح، وذلك نظرا للمكانة المرموقة التي تتميز بها على مستوى المجتمع الدولي.

كما سعت الجزائر جاهدة في تمثيل القارة الإفريقية لطرح مختلف القضايا والانشغالات الدولية على مستوى المحافل الدولية، فضلا عن ذلك قامت بالتنسيق مع مختلف الشركاء الدوليين المهتمين بالشأن الإفريقي، والتي حققت من خلاله نتائج إيجابية وجد ملموسة، مثل إلغاء الديون ودعم مشروع مجلس الأمن والسلم الإفريقي.

أما موقف الجزائر تجاه قضية الصحراء الغربية فقد كان موقفا واضحا وثابتا منذ حصولها على استقلالها، وهو حق الشعوب في تقرير مصيرها، وتصفية الاستعمار في الصحراء الغربية لم تتغير، وأن الخطاب الصادر في 28 أكتوبر 2013 بأبوجا، يجدد التأكيد على ثبات هذا الموقف الجلي، والذي يحظى بدعم واسع من طرف الاتحاد الإفريقي ومختلف المنظمات الدولية الأخرى، وهذه المناسبة دعت الجزائر إلى وضع ميكانيزمات متابعة ومراقبة حقوق الإنسان في الصحراء الغربية المناضلة من أجل استقلالها منذ حوالي 40 عاما وهذا ما أكد عليه رئيس دولة الجزائر السيد عبد العزيز بوتفليقة في رسالة له قرأها نيابة عنه وزير العدل الجزائري: كما أكد أيضا رئيس دولة الجزائر أن الجزائر لا تزال على قناعة بأن توسيع صلاحيات مهام بعثة المينورسو يسمح للأمم المتحدة بلعب الدور المنوط بها على أكمل وجه فيما يتعلق بمراقبة حقوق الإنسان في الصحراء الغربية المحتلة.

والجدير بالذكر، ان أهم ما تميزت به الدبلوماسية الجزائرية ومن خلال مختلف الأدوار التي قامت بها في إطار العلاقات الدولية، أن لها مبادئ ثابتة، ظلت تدعو من خلالها إلى نبذ العنف وإحلال الأمن والسلم العالمين محل النزاعات، في إطار احترام مبادئ القانون الدولي والشرعية الدولية، من أجل إيجاد حل للصراعات العرقية والحدودية، وذلك من خلال المساعي الدبلوماسية، سواء في الإطار التنظيمي الدولي أو الثنائي الإقليمي.

الهوامش

(1) سعيد أبو عباد، الدبلوماسية تاريخها مؤسساتها أنواعها وقوانينها، رسالة الكترونية تم تلقيها من الباحث، يوم 28 فيفري 2014.

(2) زيد عبيد الله مصباح، الدبلوماسية (بيروت: دار الجيل، 1999)، ص. 11.

- (3) المرجع نفسه.
- (4) المرجع نفسه
- (5) حسين قادري، الدبلوماسية والتفاوض (ط.1، الجزائر: منشورات خير جليس، 2004)، ص.10.
- (6) المرجع نفسه، ص.10.
- (7) المرجع نفسه
- (8) زايد عبيد الله مصباح، المرجع السابق، ص.24.
- (9) محمد الهاشي، العولمة والدبلوماسية والنظام العالمي الجديد (عمان : دار أسامة، 2003)، ص.114.
- (10) إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1991)، ص. 391.
- (11) علاء أبو عامر، الوظيفة الدبلوماسية: نشأتها مؤسساتها قواعدها وقوانينها / ط1 (عمان : الشروق، 201)، ص.23.
- (12) ناصيف يوسف حتي، النظرية في العلاقات الدولية، ط1 (بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، 1985)، ص.293.
- (13) "الثورة التحريرية التي ألهمت الشعوب التواقة للحرية"، الجيش، نوفمبر 2013، ص.56.
- (14) سليم العايب " الدبلوماسية الجزائرية في إطار منظمة الاتحاد الإفريقي " (رسالة ماجستير في العلاقات الدولية والدبلوماسية، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2010-2011)، ص.64
- (15) المرجع نفسه، ص.65.
- (16) المرجع نفسه، ص.69.
- (17) الجيش، مرجع سابق ذكره، ص.57.
- (18) عز الدين يعزير، " سياسة الجزائر المغاربية من سنة 1962 إلى 1995 " (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1997)، ص.49.
- (19) سليم العايب، مرجع سبق ذكره، ص.86.
- (20) المرجع نفسه، ص.87.
- (21) محمد بوعشة، الدبلوماسية الجزائرية وصراع القوى الصغرى في القرن الأفريقي وإدارة الحرب الأثيوبية الأريتيرية (الجزائر: دار الجيل، 2004)، ص.133.
- (22) المرجع نفسه، ص.135.
- (*) قادها وزير الخارجية آنذاك، " محمد الصديق بن يحيى " وسفير الجزائر بطهران " عبد الكريم غريب " ورضا مالك سفير الجزائر بواشنطن.
- (23) المرجع نفسه، ص.135.
- (24) سليم العايب، مرجع سبق ذكره، ص.78.
- (25) أسامة بوشماخ، " تأثير قضية الصحراء الغربية على الوحدة المغاربية، الجزائر والمغرب " (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير بكلية العلوم السياسية والإعلام، قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية، جامعة الجزائر 03، 2012)، ص.114.
- (26) أسامة بوشماخ، مرجع سابق، ص.215.
- (27) عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري، الجزائر، الدار العصرية للطباعة والنشر، 2005، ص. 142.
- (28) بنت عبد الوهاب، الصحراء الغربية بين المد والجزر، المستقبل الجديد، العدد1، 2005، ص.15-41.
- (29) أسامة بوشماخ، مرجع سابق، ص. 220.
- (30) المرجع نفسه، ص. 221.
- (31) المرجع نفسه.